من وصي القاموس
٤٨

بقلم : ابو سنان حمادي المليكي

واشبيلية : مدينة اندلسية يسميها اليوم الاسبان سيفون وهي قاعدة مقاطعة اسبانية بهذا الاسم مبنيـــة على الساحل الايسر من نهر الوادي الكبير تبعد عن مدريد ٥٧٣ كيلو متراً ويسكنها الآن نحو ١٤٦ الف نسمة وكان عدد سكانها في القرن السادس عشر اربعمائة الف نسمة وكانت اشبيليـة عندئذ محط رحال التجار الآتين من امريكا وكان بها معامل لنسج الجوخ والحرير ولما جرف النهر الرمال ازاءها تعطل سير السفن فانتقلت حركتها الى كاديس في عام ١٧٢٠ م وفي اشبيلية جامعة اسست في عام ١٩٠٥ م ومدارس عديدة ومجمع علمي وجمعيات اقتصاديه ومعامل حكومية للاقمشة والصابون وآثار هامة منها كنيسة اشبيلية التي اسست في سنة ١٤٠١م على انقاض مسجد اسلامي فخم كان بها ايام العرب ولا تزال في الكنيسة خرائط ذلك المسجد الاصلية وفيها برج كان قد بناه العالم محمد بن جبير في سنة ١٠٠٠م ليرصد فيه الكواكب وكان ارتفاعه ١٧٢ قدم ومن آثارها القصر الذي بناه العرب ايام حكمهم فيها وكان معقلا وداراً للملك في آن واحد وكانت سعته اذ ذاك اكبر مما هي عليه الآن ولما اخذه المسيحيون جعلوه مقر ملكهم ولم يكن في الاندلس ايام العرب مدينـة اكبر من اشبيلية وكانت تسمى حمص ايضاً وكانت قاعـدة ملك الاندلس وسريره وبها كان بنو عباد ولمقامهم بها خربت قرطبة .

ويقال ان اول من بنى اشبيلية رجل اسمـه اشبان وبقيت في عمرانها الى ان فتحها موسى بن نصير في سنة ٩٤هـ ثم كانت في يد عبدالرحمن الاموي في عام ١٢٧ هـ ثم امتلكها يوسف بن تاشفين في سنة ٤٨٤ هـ ثم ملكها عبد المؤمن في عام ٥٤١ هـ ثم استولى عليها فرديناند الثالث ملك قسطيلة في اواسط القرن السابع للهجرة واستمرت بيد الاسبان الى اليوم

وهنا ذكرت قول ابي البقاء صالح بن شريف الرندي من قصيدته الشهيرة :

دهى الجزيرة امر لاعزاء له ... هوى له احـد وانهد ثهلان
اصابها العين في الاسلام فارتزأت ... حتى خلت منه اقطار وبلدان
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية ... واين شاطبة ام اين جيـان
واين قرطبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سمى فيهـا له شان
واين حمص وما تحويه من نزه ... ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن اركان البلاد فمـا ... عسى البقاء اذا لم تبق اركان

وهو يريد بحمص اشبيلية – ثم يقول :

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار بني الاسلام خاليـة ... قد اقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قـد صارت كنائس ما ... فيهن إلا نواقيس وصلبـان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي ميدان
يا غافلا وله في الدهر موعظة ... ان كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشياً مرحا يلهيه موطنـه ... ابعد حمص تغر المرء اوطان
تلك المصيبة انست ما تقدمها ... وما لها مع طول الدهر نسيان

ومن ذكر حمص الاندلس اعني اشبيلية محمد بن عبدون فقال من مقطوعة :

هل تذكر العهد الذي لم انسه ... ومودة مخدومـة بصفـاء
ومبيتنا في ارض حمص والحجى ... قد حل عقد صباه بالصهبـاء
ودموع طل الليل يخلق اعيناً ... ترنو الينـا من عيون الماء

قال ياقوت الحموي وهم يسمون مدينـة اشبيلية حمص وذلك ان بني امية لما حصلوا على الاندلس وملكوها سموا عدة مدن منها باسماء مدن الشام ، وقال ابن بسام دخل من جنود حمص الى الاندلس فسكنوا اشبيليـة فسميت بهم . والى اشبيلية هـذه ينسب جماعة كبيرة من الشعراء ومن هؤلاء ابو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الكاتب الشاعر وكان له ولابيه قدم في الادب وله شعر كثير وكتاب في فصل الربيع ومات في سنة ٤٤٠ هـ باشبيلية وهو القائل :

ابشر فقد سفر الثرى عن بشره ... واتاك ينشر ما طوى من نشره
متحصنا من حسنه في معقل ... عقل العيون على رعاية زهره
فض الربيع ختامه فبدا لنـا ... ما كان من سرائـه في سره

من بعد ما سحب السحاب ذيوله فيه ودر عليه انفس دره

ومنهم ابو الحكم بن غلندو الاشبيلي ولد باشبيلية وبها نشأ وكان اديباً شاعراً متميزاً بصناعة الطب خدم به المنصور عبد المؤمن بن سعيد وكان حسن الخط يكتب الخطين الاندلسي والمشرقي ومات بمراكش سنة ٥٨٧ هـ وهو القائل:

لئن غبت عن عيني وشط بك النوى فانت بقلبي حاضر وقريب
خيالك في وهمي وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فاين تغيب

ومنهم محمد بن عبد الملك بن زهر الاندلسي الاشبيلي ابو بكر ولد باشبيلية وبها نشأ ودرس الادب واللغة والعربية وبرع في ذلك كله واجاد نظم الشعر وفي نظم الموشحات التي فاق بها اهل المغرب وحسبه ان من موشحاته الموشح الذي مطلعه :

ايها الشاكي اليك المشتكى • قد دعوناك وان لم تسمع

وهو مشهور ثم درس الطب ثم خدم دولة الملثمين في آخر عهدهم ثم دولة الموحدين بني عبد المؤمن ومات في اول ايام الناصر محمد سنة ٥٩٥ هـ وكان مولده في سنة ٥٠٧ هـ وكان قد ثقل سمعه في آخر عمره ومن شعره :

اني نظرت الى المرآة اذ جليت فانكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شييخاً لست اعرفه وكنت اعرفه من قبل ذاك فتى
فقلت اين الذي بالامس كان هنا متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت قد كان ذاك وهذا بعد ذاك اتى

وحسب اشبيلية ان يكون منها محمد بن هاني الازدي الاندلسي الاشبيلي متنبي الغرب اذ كان مولده ونشأته باشبيلية وقد توفي بمنونق في سنة ٣٦٢ هـ وقد جاوز الاربعين من عمره اما شعره فهو اشهر من ان احتاج الى ايراد نماذج منه هنا :

(أ . ش . ر) اشر كفرح فهو اشر فرح ج اشرون واشر واشرى واشارى قال تعالى سيعلمون غداً من الكذاب الاشر وهو تعالى يريد الفرح البطر، وقيل الاشر شدة البطر فالاشر اذن ابلغ من البطر والبطر ابلغ من الفرح فان الفرح وان كان في اغلب احواله مذموما لقوله تعالى إن الله لا يحب الفرحين فقد يحمد تارة اذا كان على قدر ما يجب وفي الموضع الذي يجب كما قال تعالى فبذلك فليفرحوا وذلك ان الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل والاشر لا يكون إلا

لاشرف المرتضى متغزلا

اما الحبيب فقد فزنا بزورته في ليلة لا فتى فيها سوى القمر
فبت اذني الى قلبي ومن بصري من حيث ناجاني محل القلب والبصر
لم يطعم النوم جفن ثاب فيه مقتسم والله يشهد والتشهير لي يمين
كم بين إذنا من تعذيبا سهري وبين إلمامه الا من تقبيله سمري
لا أشكر الدهر أولى في الزمان يداً لم أر ترياقي أولاه في السحر

فرحا بحسب قضية الهوى وقد قال المعري :

وما يحجون من دين ولا نسك وانما ذاك افراط من الاشر

وفي حديث الزكاة وذكر الخيل : ورجل اتخذها اشراً وبذخا وفي حديث الزكاة : كأخذ ما كانت وأسمنه وآشره .

والمئشار بالهمز وبالنون ج مئاشير ومناشير واشرت الخشبة اشراً شققتها وفي حديث صاحب الاخدود : فوضع المئشار على مفرق رأسه ومنه قيل ناقة مئشير اي نشيطة وقد قال المعري :

اتكتب سطراً ليس فيه تخوف لربك ما ادلى بنانك بالاشر

وقال وجمع بين المعنيين:

اذا اشرت اكف من رجال فمن اولى انامليم بأشر

ومن المجاز وصف البرق بالاشر اذا تردد في لمعانه ووصف النبات به اذا مضى في غلوائه قال نصيب الاصغر :

ان البروق اذا استمر بها الثرى اشر النبات بها وطاب المزرع

اما اشر الاسنان فهو التحزيز الذي يكون فيها خلقة ج اشور ويقال في ثغرها اشر اي حسن وتحزيز اطراف وقد اكثر الشعراء من ذكر هذا .

قال عمر بن ابي ربيعة :

فطرقت الحي مكتتما ومعي عضب به أثر
فاذا رئم على مهد في حجال الخز مستتر
بادن تجلو مفلجة عذبة غرا لها اشر

وقال ايضا :

خود مهفهفة الاعلى اذا انصرفت تكاد من ثقل الارداف تنبتر
تفتر عن ذي غروب طعمه عسل مفلج النبت دفاق له اشر

وقال ايضا :

غراء في غرة الشباب من الحور اللواتي يزينها خفر
تفتر عن بارد مقبله مفلج واضح له اشر